عندما كان المحررون مستقلين عن اليهود

الرد الفطرى الأول الذى يستخدمه اليهودى على أى انتقاد لجنسه صادر من غير اليهودى هو (الهجوم)، سواء أكان تهديدًا أم فعلاً. وسوف تتأكد هذه الحالة من مئات الآلاف من مواطنى الولايات المتحدة الذين سمعوا بآذانهم ما يدل على ذلك. وخلال الشهور الأخيرة كانت تهديدات تملأ البلاد ضد أشخاص مدركين ومطلعين على دقائق المسألة اليهودية، تهديدات فى شكل كلام متداول أو شائعات أو كتابة تمررها المنظمات اليهودية باعتبارها قرارات.

وإذا كان الشخص غير المتحيز الذى يبحث فى المسألة اليهودية صاحب تجارة أو أعمال تجارية، يكون أول رد يفكر فيه اليهودى وهو «المقاطعة». سواء أكانت صحيفة مثل حالة «نيويورك هيرالد» القديمة، أو مؤسسة تجارية مثل حالة محلات إيه تى ستيوارت الشهيرة، أو فندقًا مثل حالة فندق «جراند يونيون» القديم فى ساراتوجا، أو انتاجًا دراميًا مثل حالة مسرحية «تاجر البندقية» أو أى منتج صناعى يلتزم صاحبه بسياسة «بضائعى للبيع، أما مبادئى فلا»، أى أنه إذا كان لدارس المسألة اليهودية أية علاقات تجارية أو صناعية أو أى «بزنس» فإن «الرد» الأول هو «المقاطعة».

ويكون التكنيك هكذا: البداية تكون من خلال حملة شائعات مزعجة تطير بسرعة وبالجملة، وتكون معها عبارة «شاهدونا ونحن ننال منه». وكان اليهود العاملون على أجهزة «التيكرز» فى الصحافة يرفعون شعار «شائعة واحدة يوميًا»، بينما كان اليهود العاملون فى صحف محلية يعملون بسياسة «مانشيت قذف يوميًا». وكان اليهود المسئولون عن توزيع الصحف فى الشوارع (كل النواحى والأماكن البارزة وسط المدينة كانت تحت سيطرة يهود وسطاء لا يسمحون باستغلالها إلا لمن يعمل تحت أيديهم) يصدرون أوامر للتأكيد على أخبار معينة خلال المناداة عملاً بسياسة «صيحة جديدة ضده يوميًا». وكان مفتاح الحملة ضد من

ينتقد اليهود كائنًا من كان هو العبارة التهديدية «شاهدونا ونحن ننال منه».

وكما يؤمن مستر جومبرز والقاضى براندیز فى «الضربة الثانوية» مثلما يكشف قرار حديث من المحكمة العليا، فإن اليهود الذين يبدأون عقاب من يدرس ويحقق فى المسألة اليهودية يؤمنون بمقاطعة ثانوية. إنهم لا يتعهدون فقط بعدم استخدام منتج معين من باب المقاطعة (وتجدهم ينكرون ذلك لكن تقارير صحفية تؤكده، وكذلك رسائل برقية لبعض الصحف لم تنشر) بل يتعهدون أيضًا بمقاطعة أى شخص آخر يستخدم المنتج. لو كان المنتج قبعة مثلاً وذلك احتمال بعيد؛ لأن صناعة القبعات يهودية فى الغالب فستجد أن اليهود لا يتعهدون فقط بالإحجام عن شراء هذه الماركة من القبعات، بل يأخذون على أنفسهم عهدًا كذلك بعدم التعامل تجاريًا مع أى شخص يرتدى مثل هذه القبعة!

وعندما يحدث ما يشير إلى كساد فى صناعة وتجارة القبعات ينسى اليهود كل إنكاراتهم بخصوص تعهداتهم بالمقاطعة، ويبدأون فى التباهى: «أرأيتم ما فعلنا به؟».

ونشر الشائعات والمقاطعة هى الردود اليهودية الرئيسية التى تشكل الهيكل والعصب فى هذه الحالة العقلية لدى غير اليهود المعروفة باسم «الخوف من اليهود».

إنهم دائمًا لا يحيطون الضحية علمًا. وحدث أخيرًا أن تحدث مدير مبيعات شاب فى مؤسسة كبرى خلال عشاء كان معظم ضيوفه من عملاء المؤسسة، وكان واحدًا من الشباب الذين لديهم أفكار جديدة خاصة بـ«البزنس». كان يرى أن الشىء الصحيح يمكن عمله دائمًا، وأن الأشياء الأخرى الصحيحة بقدر مساو مربحة أيضًا. وكان من بين الضيوف نحو ٤٠ تاجرًا يهوديًا، كلهم عملاءً للمؤسسة. وفى خطابه أعرب مدير المبيعات الشاب عن حماسه للأخلاقيات بقوله «إن ما نحتاجه فى «البزنس» هو تطبيق مبادىء السيد المسيح». وفى الحقيقة كان ما يعرفه ذلك الشاب عن المسيح قليلاً جدًا. كان متأثرًا بفكرة روچر بابسون فى المبادئ الدينية كأساس للتعاملات التجارية، لكنه عبر عن ذلك بطريقته الخاصة، وعرف الجميع ما يعنيه. كان يقصد اللياقة والأصول وليس الطائفية. إلا أنه بسبب استخدامه ذلك التعبير فقد ٤٠ عميلاً للمؤسسة، ولم يعرف السبب. أما العملاء الجدد فقد عرفوا السبب: كانت مقاطعة صامتة غير معلنة.

تلك بعض ملامح إحدى قصص المقاطعة التى استمرت عدداً من السنين، وهى واحدة فقط من قصص عديدة من نفس النوع يمكن قصها عن نيويورك، مثل قصة صحيفة «نيويورك هيرالد» التى جرؤت على الاستقلال عن التأثير والنفوذ اليهودى فى المدينة.

عاشت الصحيفة لمدة ٩٠ عامًا، وانتهى بها الحال منذ عام واحد فى صيغة اندماج. كانت تقوم بأعمال فذة فى عالم الأخبار، أرسلت هنرى إم ستانلى إلى إفريقيا للبحث عن المبشر والمستكشف الأسكتلندى ليڤينجستون، وشاركت فى بعثة جينيت الاستكشافية فى مناطق القطب الشمالى. لكن ربما يكون أعظم أعمالها هو التمسك بالاستقلال الصحفى على مر السنين، فى مواجهة هجمات اليهود فى نيويورك. وكانت تتمتع بسمعة نظيفة بين الصحفيين ومعروف أنه لا يمكن شراء الأخبار أو الافتتاحيات أو الأعمدة فيها ولا التأثير عليها.

كان صاحب «نيويورك هيرالد» الراحل جيمس جوردون بينيت معروفًا بمواقفه الودية نحو اليهود فى المدينة، ولم يكن يحمل أية ضغائن ضدهم، ولم يتعمد معاداتهم أبدًا. لكنه كان مصممًا على شرف استقلال الصحافة، لم ينحن قط أمام ضغوط المعلنين بخصوص السياسة التحريرية فى الصحيفة، سواء فى محاولة التأثير على المسئولين فى الصحيفة من أجل نشر مادة أو حجب موضوعات معينة.

منذ ٣٠ عامًا كانت الصحافة فى نيويورك حرة، أما اليوم فهى عمليًا تحت سيطرة يهودية كاملة، وكانت تلك السيطرة تأخذ أشكالاً متنوعة، وتعتمد أحيانًا على اهتمام أصحاب الصحف بالأرباح دون اعتبار لأخلاقيات المهنة، لكن بشكل عام السيطرة الآن مطلقة، وهناك عنصر سيطرة فى كل حالة. أما الصحفيون والعاملون فى الصحافة فلم يكونوا راضين عن تلك السيطرة، التى لم تكن تستخدم سلاح الحملات بل كانت تملى شروطًا قاسية، عدم تلبيتها قد يعنى إغلاق الصحف وتروجًا لمنطق «الشغل شغل».

ومنذ ٣٠ عامًا كان عدد الصحف فى نيويورك أكثر مما هو عليه الآن. كان هناك ثمان أو تسع صحف يومية صباحية، ولا يوجد الآن سوى خمس. وكانت صحيفة «هيرالد» التى تباع بثلاثة سنتات الأكثر نفوذا والمفضلة لدى المعلنين بسبب نسبة التوزيع العالية، وكانت تقود المجال الصحفى بسهولة.

فى ذلك الوقت كان عدد سكان يهود نيويورك أقل من ثلث ما هو عليه الآن، لكن الثراء كان ملمحًا مميزًا لهم.

والآن، يعلم كل صحفى أن معظم القادة اليهود يهتمون دائمًا إما بنشر قصة صحفية أو حجبها، ولا يوجد ناس يقرأون الصحافة العامة بحرص وعناية، وعيونهم على شئونهم، مثلما يفعل اليهود، ويمكن أن يشهد بذلك كثير من الناشرين والصحفيين.

كانت الهيرالد تلتزم منذ بداية تلك المضايقات المحاولة للتأثير بسياسة عدم السماح بتخليها عن مهمتها لتوصيل المعلومات للناس. وكان فى ذلك فائدة منعكسة للصحف الأخرى مثلما سنراه فيما يلى:

لو وقعت فضيحة فى دوائر يهودية، فإن اليهود المتنفذين يندفعون بأعداد كبيرة إلى مكاتب الناشرين والصحفيين؛ لترتيب كيفية حجب أى قصة صحفية حول ذلك. لكن المحررين كانوا يعلمون أنه لا يمكن التأثير على الهيرالد، التى لا تقبل حجب الحقائق. إذن ما فائدة أن تحجب صحيفة الخبر وتنشره صحيفة أخرى؟ لذلك كان الناشرون والمحررون يقولون: «حسنًا، يسرنا جدًا أن نحجب نشر هذا الموضوع، لكن الهيرالد سوف تنشر، لذلك سوف نضطر للنشر كى نحمى أنفسنا، لكن لو استطعتم التأثير على الهيرالد كى تحجب النشر فسوف نحجبه بكل سرور».

لكن الهيرالد لم تستسلم قط. لم تنجح ضغوط دوائر السيطرة والنفوذ، ولا الوعود البراقة، ولا التهديدات، ونشرت الموضوع.

كان هناك مصرفى يهودى يطالب بينيت صاحب الهيرالد بطرد محرر الشئون المالية فى الصحيفة. وكان ذلك المصرفى يعمل فى مجال السندات المكسيكية وقت كانت فى وضع غير آمن. وحدث أن اشترى أمريكيون عددًا ضخمًا من تلك السندات، ونشرت الهيرالد موضوعًا عن ثورة وشيكة فى المكسيك. حدثت فعلاً وكان لذلك صلة بحكاية السندات. أرغى ذلك المصرفى وأزبد واستخدم كل النفوذ الممكن لتغيير هيئة القسم المالى فى الصحيفة، لكنه لم يستطع تغيير حتى عامل المراسلة فى القسم.

وذات مرة عندما تورط أحد أعضاء عائلة بارزة فى فضيحة مروعة، رفض بينيت عدم نشر الموضوع قائلاً إنه لو حدث ذلك بين عائلة من أى عرق آخر فسوف ينشر بصرف النظر عن أهمية ومكانة الأشخاص المتورطين. واستطاع اليهود فى فيلادلفيا تأمين حجب الموضوع عن النشر، لكن لم يحدث أن حجب فى نيويورك بسبب موقف بينيت. وهناك مسائل لا يمكن الاقتراب منها دون التعرض لخطر الموت، بعد أن أصبحت الصحف لا تعتمد على العون الذى يقدمه القارئ العادى بل على المعلنين والإعلانات، ولم تكن النقود التى يدفعها القراء فى شراء الصحيفة تكفى لتغطية ثمن الورق. وبهذه الطريقة أصبح لا يمكن تجاهل المعلنين، ولأن النسبة الغالبة بين المعلنين فى ذلك الوقت كانت لأصحاب المتاجر، ولأن معظم المتاجر يملكها يهود، أصبح من المنطقى أن يحاول اليهود التأثير على السياسة الإخبارية على الأقل فى الصحف التى يتعاملون معها.

وفى نيويورك كان الطموح المتقد دائمًا لليهود هو انتخاب عمدة يهودى، واختاروا وقتًا كانت الأحزاب الرئيسية ممزقة فيه ولا تستطيع فرض من تختاره، وكانت الطريقة التى تعامل بها اليهود مميزة.

استنتجوا أن الصحف لن تجرؤ على رفض آراء وكلام أصحاب المتاجر فرتبوا رسالة «سرية للغاية» وأرسلوها إلى أصحاب الصحف فى نيويورك، يطالبون فيها بمساندة المرشح اليهودى لمنصب العمدة.

ووجد أصحاب الصحف أنفسهم فى ورطة، وظلوا أيامًا عديدة يتناقشون فى كيفية التصرف، وأرسل المحررون فى الهيرالد برقية إلى بينيت الذى كان فى الخارج لإبلاغه. وأظهر بينيت تلك الجرأة والاستقامة التى ميزته ورد على البرقية قائلاً: «انشروا الرسالة». ونشرت فعلاً فى الأعمدة الافتتاحية، وافتضح أمر المعلنين اليهود وغرورهم، وتنفس غير اليهود فى نيويورك الصعداء وأثنوا على ذلك الإجراء.

شرحت الهيرالد بوضوح أنها لا تستطيع مساندة مرشح بسبب مصالح خاصة؛ لأنها مهتمة أكثر بتكريس عملها للمصالح العامة. لكن القادة اليهود أقسموا على الانتقام من الهيرالد ومن الرجل الذى تجرأ وكشف اللعبة، ولم يكونوا يحبون بينيت منذ وقت طويل على أية حال. كانت الهيرالد صحيفة المجتمع الحقيقية فى نيويورك

التى تنشر أخبار المجتمع، لكن بينيت أرسى قاعدة بألا تنشر سوى أسماء العائلات الشهيرة. وهناك قصص مثيرة حول الجهود التى بذلها الأثرياء اليهود الجدد لاختراق أعمدة المجتمع فى الهيرالد، وكان الصحفيون كبار السن يتندرون بها. لكن بينيت كان عنيدًا، وظلت سياسته قائمة.

كان بينيت داهية ولم يدع لصراع مفتوح مع اليهود. لم يكن يشعر بأى تحيز ضد الجنس اليهودى، لكنه كان ببساطة مستاءً من جهودهم لتخويفه وإكراهه بالتهديد.

ووصل الأمر إلى ذروته فى نزاع بدأ بين بينيت وناثان شتراوس اليهودى الألمانى الذى يملك شركة معروفة باسم «آر إتش ماسى وشركاؤه» وماسى هو الأسكتلندى الذى بدأ المشروع وكون الشركة ثم اشتراها شتراوس من الورثة. مستر شتراوس أحد المحسنين فى الجيتو، لكن بينيت لم يظهره فى صورة المحسن مما أدى إلى تطور مشاعر سيئة بينهما. وتلا ذلك حرب صحفية طويلة كان موضوعها قيمة بسترة الحليب، وهو نقاش سخيف لم يأخذه أحد على محمل الجد، فيما عدا بينيت وشتراوس.

ووقف اليهود طبعًا إلى جانب شتراوس. وملأ المتحدثون اليهود كل الفضاءات بمديح شتراوس والثناء عليه وقذف بينيت وتشويه سمعته. قالوا إنه اضطهد نبيلاً يهوديًا. وتطور الأمر واستطاعوا وضع قرارات من خلال هيئة المجلس التشريعى.

بعد ذلك سحب شتراوس المعلن من عيار ثقيل كل دولار من الهيرالد و«إيفننج تيليجرام». وتجمعت كل العناصر اليهودية القوية فى نيويورك لتوجيه ضربة قاصمة لبينيت، مثلما وجهوا ضربة لمواطن آخر من نيويورك قبل سنوات. وظهر الشعار اليهودى الأثير: «سيطروا أو دمروا» وأعلن اليهود الحرب.

سحب اليهود والمعلنون كل إعلاناتهم من صحف مستر بينيت، وعزوا السبب إلى أن الهيرالد كانت تبدى عداء ضد اليهود. وكان الهدف الحقيقى لإجرائهم هو صحفى أمريكى يملك صحيفة تجرأ على أن يكون مستقلاً عنهم.

كانت الضربة موجعة، خسارة ٦٠٠٠٠٠ دولار سنويًا. وأية صحيفة أخرى فى نيويورك كان يمكن أن تغلق أبوابها بسببها. كان اليهود يعلمون ذلك وجلسوا ينتظرون سقوط رجل اختاروا أن يعتبروه عدوًا لهم.

لكن بينيت كان محاربًا صعب المراس، إضافة إلى أنه كان يعرف السيكولوجية

اليهودية حق المعرفة وأفضل من أى غير يهودى فى نيويورك، وقلب المائدة على رؤوس معارضيه بأسلوب مذهل وغير متوقع. كان المعلنون اليهود يشغلون دائمًا الأماكن البارزة فى الصحف التى يملكها، وحول فوراً تلك الأماكن إلى تجار غير يهود بموجب عقود حصرية، تجار كانوا يزدحمون قبل ذلك فى الصفحات الأخيرة والزوايا، أصبحوا يعلنون فى أفضل الأماكن وعلى صفحات كاملة. وكان أحد المستفيدين من هذا الموقف جون واناميكر الذى برزت إعلاناته منذ ذلك الحين فى صحف بينيت.

وزادت نسبة توزيع صحف بينيت، وامتلأت صفحات كاملة بالإعلانات. ولم تحدث الكارثة التى خطط لها اليهود جيداً، بل كانت هناك مفاجأة كوميدية. أصبح التجار غير اليهود فى نيويورك يتمتعون بنشر إعلانات على أفضل وجه وفى صحيفة محترمة، وانزوى التجار غير اليهود. ولم يؤد «العقاب» الذى أداره اليهود إلى أى ضرر. وأصبحت «المقاطعة» عبئًا على «المقاطعين».

ولعدم قدرة اليهود على تحمل المشهد التجارى بعد أن تحول إلى تجار غير يهود، تراجعوا عن موقفهم العدائى وعادوا إلى بينيت يطلبون نشر إعلاناتهم فى صحفه. استقبلهم بينيت جميعًا ولم يظهر أية ضغينة، كانوا يريدون استعادة المساحات المميزة، لكن بينيت قال: لا. جادلوه معه، لكنه قال: لا. عرضوا أموالاً، لكنه قال: لا.

ثم حدث ظرف غريب، بعض التجار اليهود الذين تغلب حسهم التجارى على المشاعر العنصرية واصلوا نشر إعلاناتهم فى الهيرالد برغم المقاطعة. عندما رأوا إخوانهم يعودون ويطلبون استعادة مساحات الإعلانات التى يمكن أن يستغلوها، شكّوا أن يكون بينيت قد أغراهم بتخفيض الأسعار. كتبوا رسالة إلى بينيت يطلبون معرفة الظروف، فنشر بينيت الرسالة كالمعتاد ورد عليها بأن أسعاره لم تخفض.

انتصر بينيت، لكنه كان نصراً غالى الثمن. استمر اليهود فى الخطة التى بدأوها مبكراً فى ١٨٧٧، الخاصة بتدمير نيويوركى آخر رفض الانحناء لهم. كان بينيت يحاربهم طول الوقت، وكانوا يزدادون قوة ونفوذاً فى نيويورك، وكان نفوذهم فى الصحافة يتعاظم سنويًا. وكان يسيطر عليهم هاجس فكرة حمقاء تقول إن السيطرة

على الصحافة في نيويورك تعني السيطرة على الفكر في البلاد. فقد كانوا يعتبرون نيويورك عاصمة الولايات المتحدة.

وتناقص عدد الصحف تدريجيًا من خلال عمليات دمج. أدولف إس أوكس وهو يهودي من فيلادلفيا اشترى «التايمز»، وسرعان ما جعلها صحيفة كبرى لكنها منحازة لخدمة اليهود. وأي جداول للاعلانات اليهودية في «التايمز» تكشف أرقامًا كبيرة. ولأنها كانت صحيفة ذات وزن فقد أصبحت الصحيفة الناطقة بلسان اليهود. كان اليهود يمدحون ويؤنبون ويدافعون فيها، ولم يمنح هذا لأي جنس آخر. وقد لا تعتبر هيئة تحرير التايمز ذلك صحيحًا كله، فالغالبية فيهم شخصيًا وفرديًا ليسوا من «ذلك النوع من الناس». لكن «التايمز» نفسها أكبر دليل.

ثم ظهر هيرست في هذا المجال، وهو مهيج خطير يروج لأفكار خاطئة ويثير الناس. أحاط نفسه بثلة من اليهود الذين شاركهم في ارتكاب كل الموبقات، لكنه لم يقل عنهم الحقيقة أبدًا، وطبعًا أحاطوه بكل رعاية إعلانية. واستقرت نزعة الصحف التي يسيطر عليها اليهود بقوة، وواصلت التقدم. وبدأت الأسماء القديمة التي جعلتها السياسات الأمريكية والصحفيون العظام أسماء كبيرة في التلاشي.

كانت الصحيفة تقوم إما على أساس عقلية صحفية كبيرة، وتصبح تعبيرًا عن شخصية قوية، أو تتحول إلى مؤسسة تجارية بسبب خضوعها للمؤسسات والسياسة. وفي الحالة الأخيرة يكون لدى الصحيفة فرصة كبيرة في الاستمرار حتى بعد وفاة مؤسسها. كانت الهيرالد هي بينيت، وبعد رحيله كان حتميًا أن تغادرها القوة والفضيلة.

بعد أن تقدم بينيت في العمر خشي أن تقع الصحيفة في أيدي اليهود عقب وفاته، وكان يعلم أنهم ينظرون إليها بعيون مشتاقة. وكان يعلم أنهم عملوا ما يحلو لهم مع أية صحيفة جرؤت على قول الحقيقة فيما يتعلق بهم، وكانوا يتباهون بعد تدميرها **ويستشهدون خطأ بنبوءة «سوف ألعن من يلعنك»**. كان بينيت يحب الهيرالد مثلما يحب الرجل ولده. لذلك رتب وصيته بحيث ألا تؤول ملكيتها إلى فرد واحد، وجاء في وصيته أن يذهب الريع إلى صندوق لصالح الرجال الذين عملوا وبذلوا جهدًا لكي تستمر الهيرالد على ما كانت عليه. وتوفي في مايو ١٩١٨.

وبدا اليهود من أعداء الهيرالد الذين كانوا يراقبون بشغف فى سحب إعلاناتهم عنوة، منتظرين بيع الصحيفة. كانوا يعلمون أنها لو أصبحت صفقة خاسرة، فالقائمون على الوصاية لن يكون أمامهم سوى البيع على الرغم من وصية مستر بينيت.

لكن كانت هناك أيضًا مصالح مالية قوية فى نيويورك بدأت تدرك خطر الصحافة اليهودية. وأدى هذا إلى أن ذهب قسم كبير من الحصص فى الهيرالد إلى فرانك إيه مونزى. ومما أثار الدهشة أن مستر مونزى طوى الماضى وضم اسم الصحيفة إلى اسم «النيويورك صن» وأندثرت الصحيفة التى أسسها وأدارها بينيت. حتى الرجال الذين كانوا يعملون بها أصبحوا متناثرين فى الخارج فى الحقل الصحفى.

وحتى رغم أن اليهود لم يفوزوا بملكية الهيرالد فإنهم على الأقل نجحوا فى إلغاء وجود صحيفة غير يهودية الهوى من المجال الصحفى. وبدأوا فى السيطرة على عدة صحف مسائية.

لكن النصر كان نصرًا ماليًا على رجل ميت. وظل النصر الأخلاقى والمالى مع بينيت طوال مدة حياته، والنصر الأخلاقى لا يزال مع الهيرالد.

الهيرالد خالدة باعتبارها الحصن الأخير ضد اليهود فى نيويورك. واليوم اليهود سادة المجال الصحفى فى نيويورك، أكثر من أية عاصمة فى أوروبا. صحيح أنه فى كل عاصمة أوروبية توجد صحيفة تقدم أخبار اليهود الحقيقية، لكن لا يوجد شىء من هذا القبيل فى نيويورك. وسوف يظل الموقف هكذا إلى أن يفيق الأمريكيون من سباتهم الطويل، وينظرون إلى الموقف الوطنى بعيون واعية.

إن المغزى هو: أيا ما كان سيأتى من نيويورك الآن يجب فحصه مرتين؛ لأنه يأتى من مركز الحكومة اليهودية التى ترغب فى تلوين أفكار شعب الولايات المتحدة.

(ديربورن إندبندنت، العدد ٥ فبراير ١٩٢١)

* * *